كما تقول إذا رأيت أشياء يموت عظيم أو يولد عظيم • وفي هذا دليل على ما قدمناه من أن
القذف بالنجوم قد كان قديما ولكنه إذ بعث الرسول صلى الله عليه وعلى آله
وسلم غلظ وشدد كما قال الزهري وملئت السماء حرسا شديدا • وقوله في آخر
الحديث وقد انقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة تدل قوله اليوم على تخصيص ذلك
الزمان كما قدمناه والذي انقطع اليوم وإلى يوم القيامة أن تدرك الشياطين ما كانت
تدركه في الجاهلية الجهلاء وعند تمكنها من سماع أخبار السماء وما يوجد اليوم من
كلام الجن على ألسنة المجانين إنما هو خبر منهم عما يرونه في الأرض مما لا نراه نحن
كسرقة سارق أو خبيئة في مكان خفي أو نحو ذلك • وإن أخبروا بما يكون سيكون
كان تخرصا وتظنيا فيصيبون قليلا ويخطئون كثيرا وذلك القليل الذي يصيبون
فيه هو مما يتكلم به الملائكة في العنان كما في حديث البخاري فيطيرون بالنجوم
فيضيفون إلى الكلمة الواحدة أكثر من مائة كذبة كما قال عليه السلام
في الحديث الذي قدمناه • فإن قيل فقد كان صاف ابن صياد وكان يتكهن
ويدعي النبوة وخبأ له النبي صلى الله عليه وآله وسلم خبيئا فعلمه وهو الدخ
فقال الدخ فأين انقطاع الكهانة في ذلك الزمان • قلنا عن هذا جوابان أحدهما
ذكره الخطابي في أعلامه في شرح الحديث في أعلام النبوة قال الدخ نبات
يكون بين النخل وخبأ له النبي صلى الله عليه وسلم فارتقب يوم تأتي السماء بدخان
مبين فعلى هذا لم يصب ابن صياد ما خبأ له النبي صلى الله عليه وآله وسلم
الثاني أن شيطانه كان يأتيه بما خفي من أخبار الأرض ولا يأتيه بخبر السماء لمكان
القذف والرجم فإنه كان أراد بالدخ الدخان فليس هذا من أخبار السماء
إذ يمكن أن يكون قرب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين ذكر الآية
سرا فاستمع منها ذكر الدخان بقوة جعلت لهم في أسماعهم ليست لنا فألقى
الكلمة على لسان صاف وحدها إذ لم يمكن الجني سماع سائر الآية ولذلك
قال له النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم اخسأ فلن تعدو قدرك أي لن
تعدو أمثالك من العجز عن علم الغيب • وإنما الذي يمكن في حقه هذا القدر
دون مزيد عليه على هذا النحو فسره الخطابي • **فصل وذكر**
حديث الغيطلة الكاهنة قال وهي من بني مرة ابن
عبد مناة بن كنانة أخي مدلج وهي أم الغياطل الذين ذكر أبو طالب
سنذكر معنى الغيطلة عند شعر أبي طالب إن شاء الله • وقد ذكرها هنا
ما القتبي في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر في هذا الموضع قال الغيطلة بنت
مالك بن الحارث بن عمرو بن الصعق ابن شنوق ابن مرة وشنوق أخو مدلج
وهكذا ذكر نسبها الزبير • **وذكر قولها شعوب** وما شعوب

تصرع فيه

٨٤

الجنوب كعب
تصرع فيه كعب هاهنا هو كعب ابن لؤي • والذين صرعوا الجنوب يوم بدر وأحد من أشراف
قريش معظمهم من كعب ابن لؤي • وشعوب هاهنا اسم علم للمنية ولم أجده
منقولا وكأنه جمع شعب • وقول ابن إسحق يدل على هذا حين قال فلم يدر ما قالت
حتى قتل من قتل يوم بدر وأحد بالشعب • **وذكر قول التابع أدرك ما أدرك** •
وقيد عن أبي علي فيه رواية أخرى يدرك وما يدرك وهي أبين • وفي غير رواية
البكائي عن ابن إسحق أن فاطمة بنت النعمان النجارية كان لها تابع من الجن وكان
إذا جاءها اقتحم عليها في بيتها فلما كان في أول البعث أتاها فقعد على حائط الدار •
ولم يدخل فقالت له لم لا تدخل فقال قد بعث نبي بتحريم الزنا فذلك أول ما ذكر
النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالمدينة • **فصل وذكر إنكار**
ثقيف للرمي بالنجوم وما قاله عمرو ابن أمية أحد بني علاج إلى آخر
الحديث • وهو كلام صحيح المعنى لكن فيه إبهاما لقوله وإن كانت غير هذه
النجوم فهو لأمر حدث فما هو وقد فعل مثل ما فعلت ثقيف بنو لهب عند فزعهم
للرمي بالنجوم فاجتمعوا إلى كاهن يقال له خطر فبين لهم الخبر وما حدث من
أمر النبوة • وروى أبو جعفر العقيلي في كتاب الصحابة عن رجلين
من بني لهب يقال له لهب أو لهيب • وقد تكلمنا على نسب لهب في هذا الكتاب
قال لهيب حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت عنده
الكهانة فقلت بأبي وأمي نحن أول من عرف حراسة السماء وزجر الشياطين
ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا
يقال له خطر ابن مالك وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون
سنة وكان من أعلم كهاننا فقلنا يا خطر هل عندك علم من هذه النجوم التي
يرمى بها فإنا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها فقال عودوا إلى السحر ائتوني بسحر
أخبركم الخبر ألخير أم ضرر أو لأمن أو حذر قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان
في وجه السحر أتيناه فإذا هو قائم على قدميه شاخص في السماء بعينيه •
فناديناه يا خطر يا خطر فأومأ إلينا أمسكوا فانقض نجم عظيم من السماء وصرخ الكاهن
رافعا صوته أصابه أصابه خامره عقابه عاجله عذابه أحرقه شهابه زايله
جوابه يا ويله ما حاله بلبله بلباله عاوده خباله فقطعت حباله وغيرت أحواله •
ثم أمسك طويلا وهو يقول • يا معشر بني قحطان أخبركم بالحق والبيان • أقسمت
بالكعبة والأركان والبلد المؤتمن السدان لقد منع السمع عتاة الجان •
بثاقب بكف ذي سلطان من أجل مبعوث عظيم الشأن يبعث بالتنزيل والقرآن •
وبالهدى وفاصل الفرقان تبطل به عبادة الأوثان • قال فقلت ويحك يا خطر إنك
لتذكر أمرا عظيما فماذا ترى لقومك قال أرى لقومي ما أرى لنفسي أن